المسألة اليهودية: «لقد قررت ان أضع نفسي على رأس عمل من أجل اليهود». كان ـ حسب ما جاء في مذكراته ـ يحلم بجمهورية يهودية ارستقراطية، معادية للديموقراطية والاشتراكية. وكانت أفكاره خليطاً من الأساطير والمثالية والعلمانية، ومزيجاً من أحلامه والواقع الذي يعيش فيه.

لقد امتطى صهوة رأس المال اليهودي، ووظفه في خدمة الأهداف الصهيونية، وهدّد أغنياء اليهود باثارة الجماهير الفقيرة ضدهم؛ ولم يتوان «عن محالفة الشيطان» في سبيل الوصول الى أهدافه؛ وتحرك في خطوط متوازية، وأحياناً متعارضة، لكنها، دائماً، في اطار ان تكون الصهيونية في خدمة الدول الاستعمارية. في مذكراته، كتب بتاريخ ١٨٩٥/٦/٧: «حالما يتم الاتفاق على الأراضي وتوضع اتفاقية أولى مع الحاكم الموجود، سوف تبدأ مباحثاتنا الدبلوماسية مع الدول الكبرى». وبتاريخ ١٨٩٥/٦/٩، كتب: «سأتفاوض، أولاً مع القيصر (الروسي) الذي سيقدمني اليه نصيرنا أمير ويلز، بخصوص السماح لليهود الروس بترك البلاد؛ ثمّ أتفاوض مع قيصر المانيا؛ ثمّ مع النمسا؛ ثم مع فرنسا، بخصوص يهود الجزائر. ولكي يكون لي اعتبار في البلاطات الأوروبية، يجب ان أحصل على أعلى الأوسمة: من الانجليز أولاً». وفي مقابلة مع دوق بادن الكبير فريدريك الأول، أمير ولاية بادن الالمانية، سجل في مذكراته: «اخذت أشرح له الفوائد التي ستعود على الشرق من هذا المشروع [دولة يهودية]. اذا تمّ تقسيم تركيا في المستقبل القريب، فسوف تقف الدولة التي تقام في فلسطين دولة حاجزاً، ونستطيع ان نلعب دوراً كبيراً في المحافظة على تركيا؛ نستطيع ان نسند السلطان سنداً قوياً بالمال، اذا هو تخلّى لنا عن قطعة لا قيمة كبيرة لها عنده. سنرجع الصحة الى مركز الوباء في الشرق، وسنبني سكك حديد في آسيا، ونشق الطريق للأمم المتحضرة، وهذه الطريق لن تكون في يد دولة كبيرة واحدة، بل للجميع، جميع أوروبا». وكان هرتسل يتصل بمعظم حكام أوروبا، ويقنع كل حاكم أو زعيم على حدة بأن المخطط الصهيوني سيكون في خدمة دولته. وكانت محاولاته مع المسؤولين في المانيا، والنمسا، وروسيا، وايطاليا، وبريطانيا، هي، في الواقع، تمهيدات للاتصال بالسلطان العثماني عبدالحميد، الذي كانت فلسطين تقع ضمن ممتلكاته الآسيوية[٢٤].

ولم يستطع هرتسل من طريق الرشاوي والعلاقات المريبة والمطالبة بدولة لليهود ان يحقق أهدافه لدى السلطان العثماني. وكانت الأراضي المصرية تراود أحلامه، فاتجه الى اللورد روتشيلد، في لندن، لمساعدته في تحقيق أهدافه. وكانت بريطانيا هي الدولة المأمولة، في نظر هرتسل، بحكم المصالح المشتركة بين بريطانيا والأهداف الصهيونية.

كانت بريطانيا تسعى بشتى الوسائل والحيل لبسط سيطرتها على المناطق الواقعة شرق السويس، بحجة حماية الطريق الى الهند؛ ثمّ راحت تبذل شتى المساعي، وتنفّذ مختلف العمليات لمنع النفوذ الالماني، الذي كان مندفعاً نحو الشرق، والذي كان يحظى بنفوذ اقتصادي في الامبراطورية العثمانية.

وفي كانون الثاني (يناير) ١٨٩٩، تمكنّت بريطانيا، بشخص اللورد كورزون، من ابرام اتفاقية مع شيخ الكويت، يوافق الشيخ بموجبها على عدم التخلي عن أي جزء من أراضيه، أو أستقبال أي ممثل لدولة أجنبية دون الحصول على موافقة المقيم البريطاني في قصره[٢٥].

سيناء؛ فلسطين المصرية

لذلك، وجد هرتسل في بريطانيا اذاناً مصغية لأحلامه ومشروعاته. ففي لقائه مع اللورد روتشيلد، الذي كان مديراً لبنك انجلترا، طلب هرتسل مساعدة بريطانيا لليهود في تأسيس مستعمرة